@ 284 @ البلاد وقد شرحت الواقعة في ترجمة والده فلا حاجة إلى الإعادة .

فلما وصل إلى البلاد وجد بعض أعمامه وهو قاروت بك صاحب كرمان قد خرج عليه فعاجله وتصافا بالقرب من همذان فنصره ا عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند ملكشاه فأسروه وحملوه إلى ملكشاه فبذل التوبة ورضي بالاعتقال وأن لا يقتل فلم يجبه ملكشاه إلى ذلك فأنفذ له خريطة مملوءة من كتب أمرائه وأنهم حملوه على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان بالوزير نظام الملك فأعطاه الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هناك كانون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لأن أكثرهم كان قد كاتبه وكان ذلك سبب ثبات قدم ملكشاه في السلطنة وكانت هذه معدودة في جميل آراء نظام الملك .

ثم إن ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء المتقدمين فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وباب الأبواب والروم وديار بكر والجزيرة والشام وخطب له على جميع منابر الإسلام سوى بلاد المغرب فإنه ملك من كاشغر وهي مدينة في أقصى بلاد الترك إلى بيت المقدس طولا ومن القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضا وكان قد قدر لممالكه ملك الدينا .

وكان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا في الحروب ومغرما بالعمائر فحفر كثيرا من الأنهار وعمر على كثير من البلدان الأسوار وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد ابتدأ بعمارته في المحرم من سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد في دار السلطنة بها وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وأبطل المكوس والخفارات في جميع البلاد .

وكان لهجا بالصيد حتى قيل إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة